آيات ضيق الصدر
وانشراحه في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

د. محمد طالب مدلول

كلية الآداب- قسم علوم القرآن

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من كان خُلُقُهُ القرآن سَيِدِنا محمَّدٍ عبدِهِ ورسولِهِ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وبعد:

فما زالت الهمم تترافد، والنفوس تتوق إلى التزوّد من الفيض القرآنيّ الّذي لا تدرك أسراره، ولا تُحدّ كنوز عظمته ولا تنفد عجائبه، وأمام هذا البحر الزاخر, وجدت نفسي توّاقة لولوج بحر علمه متناولا مظهراً بعض ما يتعلق بالنفس الإنسانية ألا وهو حالة الضيق والانشراح، فانشراح الصدر ضروري في الصحة النفسية للإنسان فإذا أنعم الله على المؤمن بذلك استطاع أن يسير بخطى سريعة نحو مراتب الإيمان العليا، إذ هو القوةُ الدافعةُ والمحركةُ لذلك، وهو الصفة اللازمةُ لكل مقام من مقامات السلوك إلى الله تعالى؛ وبعكسه انقباض الصدر وضيقه الذي هو نتيجة للإعراض عن منهج الله تعالى. ونظرا لهذه الأهمية البالغة رأيت أن أكتب في هذا الموضوع، واخترت منهج التفسير الموضوعي لدراسته. وبعد حصر الألفاظ الدالة على الضيق والانشراح في القرآن الكريم قسمتها بحسب مواضيعها بعد المقدمة إلى: خمسة مباحث تردفها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

تناولت في (المبحث الأول) مصطلحات العنوان الرئيس بثلاثة مطالب، وفي (المبحث الثاني) تناولت آيات الضيق وقسمتها إلى مطلبين بحسب لفظها في القرآن الكريم, أما (المبحث الثالث) فخصصته لآيات شرح الصدر, وانتظم بأربعة مطالب. و(المبحث الرابع) للألفاظ المقاربة أو ذات الصلة وتضمن ثلاثة مطالب، وأخيراً (المبحث الخامس) وحمل عنوان أسباب ضيق الصدر وانشراحه.

وأخيرا أسأل الله العلي العظيم أن يغفر لي إن زل القلم فحسبي أني بشر وأسأله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب. وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

المبحث الأول
مصطلحات البحث

إن عنوان البحث الرئيس يتضمن ثلاثة مصطلحات هي محور الدراسة القرآنية هذه، وللكشف عنها لا بد أن نجلي معانيها في اللغة, والاصطلاح قبل كل شيء.

المطلب الأول- مفهوم الضيق:

أولاً- لغةً:

ورد هذا المصطلح أو اللفظ في كتاب الله تعالى في عدة آيات كريمة, ووجدت له في كتب ومعاجم اللغة العربية عدة معان أخذت منها ما يتوافق والمعاني التي يهدف إليها هذا البحث.

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) (ضيق): «الضاد والياء والقاف كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على خلافِ السَّعة، وذلك هو الضِّيق والضَّيقة: الفَقْر. يقال أضاق الرّجلُ: ذهب مالُهُ. وضاقَ، إذا بخل. وشيءٌ ضَيْقٌ، أي ضَيِّق. والباب كلُّه قياس واحد»[١].

وقد أورد هذه الأقوال ابن منظور (ت٧١١هـ) فقال: (ضيق) الضِّيقُ نقيض السّعة ضاقَ الشيءُ يضيق ضِيقاً وضَيْقاً وتَضَيَّقَ وتَضايَقَ وضَيَّقَه، وحكى ابن جني أَضاقَه وهو أَمر ضَيِّقٌ، الضَّيِّقُ, والضِّيقُ المصدر, والمَضايِق جمع المَضِيق, والضَّيْقُ أَيضاً: تخفيف الضَّيِّق والضِّيقة وهي الفقر وسوء الحال، وقد ضاقَ عن كل الشيء يقال لا يَسَعُني شيء ويَضِيق عنك، وضاقَ الرجلُ أَي بخل, وضَيَّقْت عليك الموضع، وقولهم ضِقْتُ به ذَرْعاً أَي ضاقَ ذرْعي به وتَضايَقَ القومُ إذا لم يتوسَّعوا في خُلُق أَو مكان, ويقال في جمع ضائِقٍ ضاقَة فهذا جمع ضائِقٍ ومثله سادَةٌ جمع سائِدٍ لا سيِّد ومكان ضَيِّقٌ وضَيْقٌ وضائِقٌ وفي التنزيل: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾[٢]، وهو في ضِيقٍ من أَمره وضَيْقٍ أَي في أَمر ضَيِّقٍ، والنعت ضَيِّقٌ والاسم ضَيْق، ويقال في صدر فلان ضِيقٌ علينا، وضَيْقٌ والضَّيْق الشكّ يكون في القلب من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٣], والضَّيَقِ بفتح الياء الشك، والضَّيْقُ بهذا المعنى أَكثرُ, والضِّيقةُ مثل الضِّيق, والمَضِيقُ ما ضاقَ من الأَماكن والأُمور[٤].

ثانياً- اصطلاحاً:

أما التعريف الاصطلاحي لمفردة(الضيق) فمن الممكن استخلاصه مما سبق من تعار يف لغوية, فهو: ضد السعة سواء كان في الصدر والمكان, أم البخل والغم وعسر الخلق[٥]. وقد وردت هذه المعاني في كتاب الله تعالى كما سنرى في المبحث القادم.

المطلب الثاني- مفهوم الشرح:

أولاً- لغة:

أما المصطلح الثاني موضوع الدراسة فهو (الشرح)، وقد جاء في اللغة بمعان متعددة:

الشرح: بفتح أوله وسكون ثانيه مصدر شرح، وجمعه شروح، وهو بمعنى: البيان والتفسير[٦].

وقال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): «أَصل الشرح بَسْط اللَّحْم ونحوه. يقال: شَرَحت اللحم وشرّحته، وشَرْح المشكل من الكلام بَسْطه وإظهار ما يخفى من معانيه»[٧].

وشَرَحَ كَمَنَع: كَشَفَ يقال: شَرحَ فُلانٌ أَمْرَه أَي أَوْضَحَه. وشَرَحَ مَسْأَلةً مُشْكِلةً: بَيَّنَها وهو مَجاز. وشَرَحَ: (قَطَعَ) اللَّحْمَ عن العُضوِ قَطْعاً. . شَرَحَ الشَّيْءَ يَشْرَحُه شَرْحاً: (فَتَحَ) وبَيَّنَ وكَشَفَ. وكُلُّ ما فُتِحَ من الجَوَاهِرِ فقد شُرِحَ, أَيضاً تقول: شَرَحْتُ الغَامِضَ إِذا فسَّرْتَه، والشَّرْحُ: البَيَانُ و(الفَهْم) والفَتْح والحِفْظ. ومن المَجَاز: شَرَحَ (الشَّيْءَ) مثل قوْلِهم: شَرَحَ اللهُ صَدْرَه لقَبولِ الخَيْرِ يَشْرَحُه شَرْحاً فانْشَرحَ أَي (وَسَّعَه) لقَبولِ الحَقّ فاتَّسعَ[٨].

ويقال: (النَّجَاحُ من الشَّرَاحِ) من الأَمثال المشهورة أَورَده الميدانيّ وغيره. ومن المَجَاز: فلان يَشْرَحُ إِلى الدُّنيا. وما لي أَراك تَشْرَح إِلى كُلّ رِيبة: وهو إِظهارُ الرَّغْبَة فيها[٩].

وفي حديث الحسن قال له عَطاءٌ: «أَكانَ الأَنبِيَاءُ يَشرَحُون إِلى الدُّنيا مع عِلْمهم برَبِّهم؟ فقال له: نَعَمْ إِن الله تَرَائِكَ في خَلْقه»[١٠]، وقال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في شرحه لهذا الحديث: أَراد كانُوا يَنْبَسِطُون إِليها ويَشْرَحُون صُدُورَهم ويرغبون في اقتنائها رَغبةً واسعةً.

ثانيا- اصطلاحاً:

أما مفهوم (الشرح) في الاصطلاح فيمكن استنتاجه من معانيه اللغوية فهو قريب منها, ولا يكاد يخرج عنها. فهو: البَيَانُ والفَهْم، والفَتْح, والحِفْظ, والكشف, ومنه شَرْح الصّدر، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق، مهيأة لحلوله فيها، مصفاة عما يمنعها منه[١١], وقيل أيضاً: هو بسْطه بنور إلهيٍّ وسكينة من جهة الله ورَوْح منه بحيث يسع ما يصادفه من المعارف الحقّة ولا يدفع كلمة الحق إذا ألقيت إليه[١٢].

المطلب الثالث- مفهوم الصدر:

إن ارتباط الظواهر والحالات النفسية من الضيق، والانشراح بالصدر ألزمنا ببيان كشفه وتسليط الضوء عليه؛ لأنه ظرف للقلب الملك على سائر الجوارح.

أولاً- لغةً:

قال ابن منظور: (صدر) الصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء، وأَوَّله حتى إنهم ليقولون صَدْر النهار, والليل وصَدْر الشتاء، والصيف وما أَشبه ذلك، والصَّدْر واحد الصُّدُور، وهو مذكر، وصَدْر الأَمر أَوّله وصَدْر كل شيء أَوّله وكلُّ ما واجهك صَدْرٌ، وصدر الإنسان منه مذكَّر، وجمعه صُدُور، ولا يكسَّر على غير ذلك, وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ** ﴾[١٣], والقلب لا يكون إلاَّ في الصَّدْر إنما جرى هذا على التوكيد كما قال عز وجل: ﴿ **يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ** ﴾[١٤]، والقول لا يكون إلاَّ بالفَمِ لكنه أَكَّد بذلك، والمَصْدُور الذي يشتكي صدره، والتَّصَدُّر نصْب الصَّدْر في الجُلوس، وصَدَّر كتابه جعل له صَدْراً, وصَدَّره في المجلس فتصدَّر, والصَّدَرُ نقِيض الوِرْد, وفي التنزيل العزيز: ﴿ **لَا يَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾[١٥], المَصْدَرُ أَصل الكلمة التي تَصْدُرُ عنها صَوادِرُ الأَفعال وتفسيره: أَن المصادر كانت أَول الكلام[١٦].

وجاء في احدث المعاجم: وطريق وارد صادر يكثر فيه مرور الناس ذهابا وإيابا, (الصادرات) البضائع الوطنية ترسل إلى بلاد أخرى (محدثة), (الصدار) ثوب يغطى به الصدر (الصدارة) التقدم يقال فلان له الصدارة في القوم, و(عند النحاة) اختصاص الكلمة بوقوعها أول الكلام كأسماء الاستفهام[١٧].

ثانياً- اصطلاحاً:

أما التعريف الاصطلاحي للصدر فهو: الجارحة[١٨]، والجمع: صُدُور, وهو: الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف, وسمي القلب صدراً لحلوله به[١٩], وهوسكن القلب يشبه رئيس القوم والعالي المجلس لشرف منزلته على غيره.

المبحث الثاني
آيات الضيق

يبلغ مجموع آيات لفظة (ضيق) بمختلف اشتقاقاتها أحدى عشرة آية[٢٠]، ومن خلال النظر المتأمل لهذه الآيات وجدت أن هذه اللفظة قد وردت في القران الكريم مفتوحة الضاد، ومكسورة في كل مواضع ورودها، ولكليهما معنى مغاير وعند بحثي لهذه الجزئية في كتب اللغة والتفسير وجدت أنهم لم يغفلوا عنها, فهذا أبو هلال العسكري (ت٥١٨هـ) يوردها في فروقه اللغوية: «الفرق بين **الضَّيْق** و**الضِّيق**: قال المفضل: الضيق بالفتح في الصدر والمكان، والضيق بالكسر في البخل وعسر الخلق»[٢١].

وقال الراغب في مفرداته: «الضيق: ضد السعة، ويقال الضيق أيضا: والضيقة يستعمل في الفقر, والبخل, والغم, ونحو ذلك»[٢٢].

وذكر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أيضا أقوال العلماء عن هذه اللفظة: «قال أبو عبيدة الضيِّقُ بالكسر في قلَّة المعاش والمساكن، وما كان في القلب، فإنه الضَّيْق. وقال أبو عمرو: (الضِّيقُ بالكسر: الشدَّة، والضَّيقُ بالفتح: الغمُّ)»[٢٣]. واستنادا لهذا فإني رأيت أن أقسم آيات (الضيق) إلى مطلبين بحسب هذا التقسيم اللفظي الضابط لها:

المطلب الأول- الضيق بالفتح في الصدر والمكان بمعنى عدم السعة فيهما:

في هذا المطلب لدينا تسع آيات كريمة رتبتها حسب ورودها في السور القرآنية:

الآيــة الأولــى: قولـه تعـالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[٢٤].

هذه الآية الكريمة ذكرت ثلاثة مصطلحات تتعلق بكينونة النفس البشرية وهي محاور موضوع بحثنا هذا، ونظرا لترابطها وعلاقتها بالقلب فإننا سوف نعرض لها هنا جميعا بالبحث

والمناقشة. وقد كثر حديث علماء الكلام من الفرق الإسلامية حول هذه الآية ونظرا لضيق المجال فإننا نلتمس من القارئ الكريم الرجوع لمصادرها من كتب علم الكلام إضافة لكتب التفسير. واعتقد أن ذكره هنا لا طائل من ورائه لأنه ذو بعد فلسفي.

إن الرجوع إلى سياق الآيات التي قبلها مهم في بيان ما ترمي إليه الآية الكريمة من معان عظيمة. وحسنا فعل ابن عاشور في ذلك العمل, إذ قال: «الفاء مُرتِّبة الجملةَ الّتي بعدها على مضمون ما قبلها من قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[٢٥]، وما ترتَّب عليه من التّفاريع والاعتراض. وهذا التّفريع إبطال لتعلّلاتهم بعلّة: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[٢٦]، وأنّ الله منعهم ما علّقوا إيمانَهم على حصوله، فتفرّع على ذلك بيان السّبب المؤثّر بالحقيقة إيمانَ المؤمن وكُفْرَ الكافر، وهو: هداية الله المؤمنَ، وإضلالُه الكافرَ، فذلك حقيقة التّأثير، دون الأسباب الظّاهرة، فيعرف من ذلك أنّ أكابر المجرمين لو أوتوا ما سألوا لما آمنوا، حتّى يريد الله هدايتهم إلى الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٢٧]، وكما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[٢٨]»[٢٩].

أما تفسير ألفاظ قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فشرح الصدر هنا جاء في تفسيره وجهان، كما قال الرازي (٦٠٤هـ): **الوجه الأول:** يقال شرح الله صدره فانشرح أي وسع صدره لقبول ذلك الأمر فتوسع. ولاشك أنه ليس المراد منه أن يوسع صدره على سبيل الحقيقة؛ لأنه لا شبهة أن ذلك محال، بل لا بد من تفسير توسيع الصدر فنقول إذا اعتقد الإنسان في عمل من الأعمال أن نفعه زائد, وخيره راجح مال طبعه إليه، وقويت رغبته في حصوله, وحصل في القلب استعداد شديد لتحصيله، فتسمى هذه الحالة بسعة النفس، وإذا اعتقد في عمل من الأعمال أن شره زائد وضرره راجح عظمت النفرة عنه، وحصل في الطبع نفرة ونبوة عن قبوله، ومعلوم أن الطريق إذا كان ضيقاً لم يتمكن الداخل من الدخول فيه، وإذا كان واسعاً قدر الداخل على الدخول فيه فإذا حصل اعتقاد أن الأمر الفلاني زائد النفع, والخير, وحصل الميل إليه، فقد حصل ذلك الميل في ذلك القلب، فقيل: اتسع الصدر له, وإذا حصل اعتقاد أنه زائد الضرر, والمفسدة لم يحصل في القلب ميل إليه

فقيل: إنه ضيق فقد صار الصدر شبيهاً بالطريق الضيق الذي لا يمكن الدخول فيه، فهذا تحقيق الكلام في سعة الصدر وضيقه.

والوجه الثاني: في تفسير الشرح يقال: شرح فلان أمره إذا أظهره وأوضحه وشرح المسألة إذا كانت مشكلة فبينها. واعلم أن لفظ الشرح غير مختص بالجانب الحق، لأنه وارد في الإسلام في قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣٠]، وفي الكفر في قوله: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٣١][٣٢].

وقال ابن عاشور في معنى الشرح أيضاً: واستعمل الشّرح في كلامهم مجازاً في البيان والكشف، واستعمل أيضاً مجازاً في انجلاء الأمر، ويقين النّفس به، وسكون البال للأمر، بحيث لا يتردّد فيه ولا يغتمّ منه والصّدر مراد به الباطن، مجازاً في الفهم والعقل بعلاقة الحلول، فمعنى (يَشْرَحْ صَدْرَهُ) يجعل لنفسه وعقله استعداداً، وقبولاً لتحصيل الإسلام، ويُوطّنه لذلك حتّى يسكن إليه ويرضى به، فلذلك يشبَّه بالشّرح، والحاصل للنّفس يسمّى انشراحاً، يقال: لم تنشرح نفسي لكذا، وانشرحتْ لكذا، وإذا حلّ نور التّوفيق في القلب كان القلب كالمتّسع؛ لأنّ الأنوار توسّع مناظر الأشياء[٣٣].

وفي المبحث القادم سوف نفصل القول في معنى الشرح من خلال عرضنا لجميع آيات وروده في القرآن الكريم.

وأما تضييق الصدر وجعله حرجا لا يقبل الإيمان: فقال تعالى: «وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ »، والحرج هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم، يقال رجل حرج وحرج أي ضيق الصدر[٣٤].

وقال ابن جرير (ت٣١٠هـ): «وهاهنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان، لرِيْن الشرك عليه. وأصله من (الحرج)، و(الحرج) جمع (حَرَجة)، وهي الشجرة الملتف بها، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها، وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ الآية فقال إيتوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا فأتوه به فقال عمر: يا فتى (ما الحرجة فيكم) فقال: الشجرة تحدق بها الأشجار الكثيرة فلا تصل إليها راعية، ولا وحشية, فقال عمر: كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير»[٣٥].

وقرأ ابن عباس (رضي الله عنهما) هذه الآية فقال: هل هنا أحد من بني بكر, فقال رجل نعم قال: (ما الحرجة فيكم) قال: الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه, فقال ابن عباس: كذلك قلب الكافر, وقال ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه, وان ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك، ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة وكانت هذه الأشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها فإذا أراد الله هداية عبد وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته، وإذا أراد ضلاله ضيق صدره, وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيعدل عنه, ولا يساكنه، وكل إناء فارغ إذا دخل فيه الشيء ضاق به, وكلما أفرغت فيه الشيء ضاق إلا القلب اللين فكلما أفرغ فيه الإيمان والعلم اتسع وانفسخ(٣٦).

وقد اختلف القراء في تشديد الياء وتخفيفها من قوله عز وجل ﴿ضَيِّقًا﴾, فقرأ ابن كثير وحده: ﴿ضَيْقًا﴾ ساكنة الياء, وكذا في آية الفرقان ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ خفيفتين. وقرأ الباقون ﴿ضَيِّقًا﴾ هنا مشددة، وروي عن أبي عمروٍ أنه قرأ ﴿ضَيْقَاً﴾ خفيفا. كما اختلفوا في فتح الراء وكسرها من قوله عز وجل ﴿حَرَجًا﴾, فقرأ ابن كثير وأبو عمروٍ وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿حَرَجًا﴾ مفتوحة الراء. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ﴿حَرِجَاً﴾ مكسورة الراء، وروي عن حفص عن عاصم ﴿حَرَجًا﴾(٣٧).

وفي تأويل قراءة حفص عن عاصم قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ) (رحمه الله): ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الحاء والراء، بمعنى: «هو الذي لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه»(٣٨).

وسوف يأتي بيان القول في معاني (الحرج) وآياته في كتاب الله تعالى في المبحث الرابع من هذه الدراسة.

واختلف القراء (رحمهم الله تعالى) في قراءة: ﴿يَصْعَدُ﴾ قرأ ابن كثير: بإسكان الصاد, وتخفيف العين من غير ألف من صعد يصعد, وحجته قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(٣٩), وقرأ أبو بكر يصاعد الأصل يتصاعد فأدغم التاء في الصاد لقربها من الصاد, وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف(٤٠).

وقال الرازي: في تأويل القراءتين: «أما قراءة ابن كثير **(يَصْعَدُ)** فهي من الصعود، والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف الصعود إلى السماء، فكما أن ذلك التكليف ثقيل على القلب، فكذلك الإيمان ثقيل على قلب الكافر, وأما قراءة أبي بكر **(يصاعد)** فهو مثل يتصاعد، وأما قراءة الباقين **(يَصْعَدُ)** فهي بمعنى يتصعد، فأدغمت التاء في الصاد, ومعنى يتصعد يتكلف ما يثقل عليه»[٤١].

وقال النحاس (ت٣٣٨هـ): روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه كان يقرأ **(كأنما يتصعد)** ومعنى هذه القراءة، وقراءة من قرأ (يصعد) و(يصاعد) واحد, والمعنى فيها: أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء, وهو لا يقدر على ذلك كأنه يستدعي ذلك، ومن قرأ (يصعد) فمعناه أنه من ضيق صدره كأنه في حال صعود قد كلفه[٤٢].

وقال الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) في تفسير: **(كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ)** استئناف أو حال من ضمير الوصف أو وصف آخر، والمراد المبالغة في ضيق صدره حيث شبه بمن يزاول ما لا (يكاد) يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة، وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود، والامتناع في ذلك عادي. وعن الزجاج معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبواً عن الحق وتباعداً في الهرب منه، وأصل **(يَصْعَدُ)** يتصعد وقد قرئ به فأدغمت التاء في الصاد[٤٣].

زيادة على ما تقدم فإن الآية الكريمة أشارت وبشكل صريح وواضح إلى حقيقة علمية فيها سبق وإعجاز علمي للقرآن الكريم ألا وهو: ضيق الصدر عند الصعود في السماء بسبب انخفاض الضغط الجوي وهي حقيقة علمية ثبتت قطعيا، وفي طب الطيران والفضاء نجد بيانا واضحاً لما أشارت الآية الكريمة من حقيقة علمية.

قال الدكتور زغلول النجار (باحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة): إذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلومترات فوق مستوي سطح البحر فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين، وتناقص ضغط الهواء, وهو مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران باسم مرض عوز الأوكسجين (*Hypoxia*), ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي والذي يسمي باسم خلل الضغط الجوي (*Dysbarism*). وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية, فتبدأ في التوقف الوظيفة

تلو الأخرى, وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية, فيبدأ بالشعور بالإجهاد الشديد, والصداع المستمر, والشعور بالرغبة في النوم, ونتيجة للنقص في الضغط الجوي تبدأ الغازات المحبوسة في داخل أنسجة الجسم وتجاويفه المختلفة في التمدد من مثل الجهاز التنفسي من الرئتين والقصبة الهوائية وتشعباتهما والأنف, والجيوب الأنفية, والجهاز الدوري من القلب, والأوردة والشرايين, والجهاز السمعي خاصة الإذن الوسطي, والجهاز الهضمي من مثل: المعدة، والأمعاء الدقيقة، والغليظة خاصة القولون, والفم والأسنان والأضراس واللثة مما يؤدي إلي آلام شديدة في كل أجزاء الجسم, وإلى ضغوط شديدة علي الرئتين والقلب وإلي تمزق خلاياهما, وأنسجتهما, ويسبب الشعور بضيق الصدر, وحشرجة الموت. كذلك تبدأ الغازات الذائبة في جميع سوائل الجسم وأنسجته في الانفصال, والتصاعد إلى خارج حيز الجسد, وأهمها غاز النيتروجين الذي يصل حجمه في جسم الفرد البالغ إلي نحو اللتر موزعة بين الدم وأنسجة الجسم المختلفة, وتخرج هذه الغازات علي هيئة فقاعات تندفع إلى الخارج بسرعة فائقة مما يزيد من تمزق الخلايا والأنسجة, وإلى حدوث آلام مبرحة بكل من الصدر, والمفاصل, وإلي ضيق شديد في التنفس نتيجة لتصاعد فقاعات النيتروجين من أنسجة الرئتين, ومن داخل الشعيرات الدموية, ومن الأنسجة المحيطة بها ومن الجلد ومن أنسجة وخلايا الجهاز العصبي, فتتأثر رؤية الشخص, ويختل توازنه, ويصاب بصداع شديد, ثم إغماء كامل أو صدمة عصبية أو بشلل جزئي أو كلي وزرقة بالجسم تنتهي بالوفاة بسبب توقف كل من القلب والرئتين, وانهيار الجهاز العصبي, وفشل كامل في وظائف بقية أعضاء الجسم ولعل ذلك هو المقصود بقول الحق (تبارك وتعالى): ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾. وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وإن بدأ يتحسسها منذ نهاية القرن الثامن عشر, وورودها في كتاب الله الذي أنزل قبل أربعة عشر قرنا على نبي أمي ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين مما يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق, وأن هذا النبي الرسول الخاتم كان موصولا بالوحي, ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض(44).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[٤٥].

قال الواحدي (ت٤٦٨هـ) في تفسير قوله تعالى: **(وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ فِيهَا)** أي: «لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض على سعتها فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم, ثم وليتم مدبرين انهزمتم أعلمهم الله تعالى أنهم ليسوا يغلبون بكثرتهم إنما يغلبون بنصر الله»[٤٦].

وقال الشوكاني: **(الُرحب)** بضم الراء السعة و**(الَرحب)** بفتح الراء المكان الواسع، والباء بمعنى مع, وما مصدرية، ومحل الجار والمجرور النصب على الحال, والمعنى أن الأرض مع كونها واسعة الأطراف ضاقت عليهم بسبب ما حل بهم من الخوف والوجل، وقيل إن الباء بمعنى على رحبها[٤٧].

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤٨].

في هذه الآية الكريمة تجلت لنا حالة الندم، والتوبة النصوح، وصورة القلق النفسي, والهم بسبب اقتراف الذنب، والمعصية, ومخالفة الله ورسوله بغير عمد, والشعور بالضيق في القلب, والصدر, والإحساس الداخلي بعدم السعة في الأرض, والمكان على انفساحها.

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): **(ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)** أي بما اتسعت يقال منزل رحب ورحيب ورحاب, وما مصدرية أي ضاقت عليهم الأرض برحبها؛ لأنهم كانوا مهجورين لا يعاملون, ولا يكلمون, وفي هذا دليل على هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا, وقوله تعالى: **(وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ)** أي ضاقت صدورهم بالهم، والوحشة، وبما لقوه من الصحابة من الجفوة، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجئون إليه في الصفح عنهم, وقبول التوبة منهم إلا إليه, وقيل: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه[٤٩].

وهنا يتحفنا الآلوسي (رحمه الله) بلفتة رائعة وتصوير دقيق لحالة الضيق, كاشفاً الوصف القرآني البليغ له بقوله: وهو مثل لشدة الحيرة، والمراد أنهم لم يقروا في الدنيا مع سعتها، وهو كما قيل كأن بلاد الله وهي فسيحة على الخائف المطلوب كفة حابل, وضاقت عليهم أنفسهم، أي قلوبهم وعبر عنها بذلك مجازا لأن قيام الذوات بها ومعنى ضيقها غمها, وحزنها كأنها لا تسع السرور لضيقها، وفي هذا ترقٍ من ضيق الأرض عليهم إلى ضيقهم في أنفسهم وهو في غاية البلاغة(٥٠).

الآية الرابعة: الضيق بمعنى: عجز، ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾(٥١).

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن لوطاً عليه السلام لما جاءته رسل ربه من الملائكة حصلت له بسبب مجيئهم مساءة عظيمة ضاق صدره بها, وأشار في مواضع متعددة إلى أن سبب مساءته، وكونه ضاق بهم ذرعاً، وقال هذا يوم عصيب أنه ظن أنهم ضيوف من بني آدم كما ظنه إبراهيم عليه السلام، وظن أن قومه ينتهكون حرمة ضيوفه فيفعلون بهم فاحشة اللواط(٥٢).

قال ابن جرير (رحمه الله): «ضاقت نفسه غما بمجيئهم، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حالِ ما ساءهُ مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من اجل ذلك لمجيئهم ذرعاً، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: (هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)»(٥٣).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾(٥٤).

هذه الآية الكريمة تشبه في معناها ما جاء في آية سورة هود السابقة في ذكر ضيق نبي الله لوط عليه السلام.

ذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن العرب جعلت ضيق الذراع, والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقا له, والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع, فضرب ذلك مثلا في العجز, والقدرة، ونصبه على أنه تمييز محول عن الفاعل أي ضاق بأمرهم, وحالهم ذرعه، وجوز أن يكون الذرع كناية عن الصدر

والقلب, وضيقه كناية عن شدة الانقباض للعجز مدافعة المكروه، والاحتيال فيه, وهو على ما قيل كناية متفرعة على كناية أخرى مشهورة، وقيل إنه مجاز؛ لأن الحقيقة غير مرادة هنا، وأبعد بعضهم في تخريج هذا الكلام فخرجه على أن المراد أن بدنه ضاق قدر عن احتمال ما وقع وقال هذا اليوم (يَوْمٌ عَصِيبٌ)[٥٥].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٥٦].

وهنا أرى من المفيد أن أعرض لسبب النزول ليتوضح لنا المعنى فقد نقل المفسرون أن المسلمين: رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير (حنظلة بن الراهب) فإن أباه (أبا عامر الراهب) كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم, ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه (حمزة بن عبد المطلب) وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت (هند بنت عتبة) قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها, فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أما **إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبدا إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئا من جسده النار**، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال النبي ﷺ: **رحمة الله عليك أبا السائب فإنك ما علمتك إلا فعالا للخيرات، وصولا للرحم, ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك**، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٥٧][٥٨].

وقال ابن عاشور: الكيد والمكر له هو تدبير الأذى في خفاء. والضيق بفتح الضّاد وسكون الياء مصدر ضاق، مثل السّير والقَول. وبها قرأ الجمهور, ويقال: الضِيق بكسر الضاد مثل: القيل. وبها قرأ ابن كثير, والمراد ضيق النفس، وهو مستعار للجزع والكدر، كما استعير ضدّه وهو السعة والاتّساع للاحتمال والصبر. يقال: فلان ضيق الصدر، قال تعالى

في آخر الحجر: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٥٩]، ويقال سعة الصدر, والظرفية في (ضيق) مجازية، أي لا يلابسك ضيق ملابسة الظرف للحال فيه[٦٠].

الآية السابعة: قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٦١].

قال السعدي (ت١٣٧هـ): أي لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين وعدم إيمانهم فإنك لو علمت ما فيهم من الشر, وأنهم لا يصلحون للخير لم تأس, ولم تحزن, ولا يضق صدرك ولا تقلق نفسك بمكرهم فإن مكرهم ستعود عاقبته عليهم[٦٢].

وعند التمعن في هذه الآية وآية سورة النحل السابقة نجد لمسة بيانية بديعة في حذف النون وإثباتها من كلمة (تكن)، أشار إليها ألبقاعي (ت٨٨٥هـ) (رحمه الله) حيث قال: **(وَلَا تَكُنْ)** مثبتاً للنون لأنه في سياق الإخبار عن عنادهم, واستهزائهم مع كفايته سبحانه وتعالى لمكرهم بما أعد لهم من سوء العذاب في الدارين، فلا مقتضى للتناهي في الإيجاز والإبلاغ في نفي الضيق، فيفهم إثبات النون الرسوخ، فلا يكون منهياً عما لا ينفك عنه العسر مما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾، وإنما ينهى عن التمادي معه في الذكر بخلاف ما مضى في النحل، فإن السياق هناك للعدل في العقوبة لما وقع من المصيبة في غزوة أحد المقتضى لتعظيم التسلية بالحمل على الصبر، ونفي جميع الضيق ليكون ذلك وازعاً عن مجاوزة الحد، بل حاملاً على العفو[٦٣].

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾[٦٤].

فكلمة **(ضَيِّقًا)** صفة لـ**(مَكَانًا)** مفيدة لزيادة شدة، فإن الكرب مع الضيق, كما أن الروح مع السعة, وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض، و**(مُقَرَّنِينَ)** حال من مفعول ألقوا أي إذا ألقوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع, وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان, وفي أرجلهم الأصفاد، و**(دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)** أي في ذلك المكان الهائل, والحالة الفظيعة ثبورا أي يتمنون هلاكا, وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك[٦٥].

وقال ابن عطية الغرناطي (ت٥٤٢هـ): والمكان الضيق منها هو يقصد إلى التضييق عليهم في المكان من النار, وذلك نوع من التعذيب[٦٦]، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

الآية التاسعة: الضيق بمعنى التضييق في النفقة, وتضييق الصَّدْر كما في قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾[٦٧].

وفي هذه الآية المباركة يأتي معنى الضيق في النفقة والسكنى أي المكان، كما هو الملاحظ من أقوال أهل التفسير.

قال الشوكاني: هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان ما يجب للنساء من السكنى، ومن للتبعيض أي بعض مكان سكناكم، وقيل زائدة، **(مِّن وُجْدِكُمْ)** أي من سعتكم وطاقتكم والوجد القدرة[٦٨].

وقال الفراء: «على قدر ما يجد أحدكم؛ فإن كان موسّعاً وسَّع عليها في: المسكن، والنفقة وإن كان مُقْتِراً فعلى قدر ذلك»[٦٩].

وقال الماوردي (ت٤٥٠هـ) (رحمه الله): في قوله: **(مِّن وُجْدِكُمْ)** أربعة أوجه:

أحدهما: من قوتكم، قاله الأعمش. الثاني: من سعيكم، قاله الأخفش[٧٠]. الثالث: من طاقتكم، قاله قطرب. الرابع: مما تجدون، قاله الفراء، ومعانيها متقاربة. وفي قوله: **(وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ)** فيه قولان: أحدهما: في المساكن، قاله مجاهد. الثاني: لتضيقوا عليهن في النفقة، قاله مقاتل[٧١].

المطلب الثاني- الضيق بالكسر بمعنى: الحزن وعسر الخلق:

وفي هذا المطلب عندنا آيتان الأولى بحق خاتم الأنبياء والرسل ﷺ، والثانية بحق كليم الله موسى عليه السلام, وفيهما إثبات للجبلة البشرية والمزاج الإنساني لهما. وأنهما يصيبهما الحزن والقلق، والمراد بالصدر فيهما هو القلب لأنه محله ومستودعه.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(٧٢).

قال ابن عطية: هذه آية تأنيس للنبي ﷺ، وتسلية عن أقوال المشركين، وإن كانت مما يقلق, وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظا بما يكره الإنسان ثم أمره تعالى بملازمة الطاعة وأن تكون مسلاته عند الهموم(٧٣).

وأحسن ما قرأت في تأويل هذه الآية ما كتبه الرازي بقوله: لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾(٧٤)، فأمره بأربعة أشياء: بالتسبيح، والتحميد، والسجود، والعبادة واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب, والحزن فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية, ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها, ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها, ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم، وقالت المعتزلة: من اعتقد تنزيه الله تعالى عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق فإنه يعلم أنه عدل منزه عن إنزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فحينئذ يطيب قلبه، وقال أهل السنة: إذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع إلى الطاعات كأنه يقول تجب عليَّ عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات(٧٥).

الآية الثانية: حكت لنا حالة نبي الله موسى عليه السلام، والسياق الذي جاءت فيه: قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾(٧٦).

قال البيضاوي (ت٦٩١هـ): رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق القلب، وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق؛ لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي

قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسه حتى لا تختل دعوته, ولا تنبثر حجته وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه(٧٧).

وقال الآلوسي: قوله (**وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي**) معطوفان على خبر ان فيه عليه السلام ثلاث علل هي: خوف التكذيب، وضيق الصدر, وامتناع انطلاق اللسان, والظاهر ثبوت الأمرين الأخيرين في أنفسهما غير متفرعين على التكذيب ليدخلا تحت الخوف, لكن قرأ الأعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وأبو حيوة وزائدة عن الأعمش ويعقوب بنصب الفعلين عطفا على (**يُكَذِّبُونِ**) فيفيد دخولهما تحت الخوف؛ ولان الأصل توافق القراءتين قيل أنهما متفرعان على ذلك كأنه قيل رب إني أخاف تكذيبهم إياي, ويضيق صدري انفعالا منه، ولا ينطلق لساني من سجن اللكنة، وقيد العي بانقباض الروح الحيواني الذي تتحرك به العضلات الحاصل عند ضيق الصدر, واغتمام القلب, والمراد حدوث تلجلج اللسان له عليه السلام بسبب ذلك كما يشاهد في كثير من الفصحاء إذا اشتد غمهم, وضاقت صدورهم فان ألسنتهم تتلجلج حتى لا تكاد تبين مقصود هذا إن قلنا إن هذا الكلام كان بعد دعائه عليه السلام بحل العقدة، واستجابة الله تعالى له بإزالتها بالكلية أو المراد ازدياد ما كان فيه عليه السلام إن قلنا إنه كان قبل الدعاء أو بعده لكن لم تزل العقدة بالكلية وإنما انحل منها ما كان يمنع من أن يفقه قوله عليه السلام فصار يفقه قوله مع بقاء يسير للكنة, وقال بعضهم لا حاجة إلى حديث التفرع بل هما داخلان تحت الخوف بالعطف على (**يُكَذِّبُونِ**) كما في قراءة النصب، وذلك بناء على ما جوزه ألبقاعي من كون (**أَخَافُ**) بمعنى أعلم أو أظن فتكون أن مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد ما يفيد علما أو ظنا, ويلتزم على هذا كون (**أَخَافُ**) في قراءة النصب على ظاهره لئلا تأبى ذلك ويدعي اتحاد المآل, وأيا ما كان فالمراد من (ضيق الصدر) ضيق القلب وعبر عنه بما ذكر مبالغة، ثم هذا الكلام منه عليه السلام ليس تشبثا بأذيال العلل واستعفاء عن امتثال أمره عز وجل, وتلقيه بالسمع والطاعة بل هو تمهيد عذر في استدعاء عون له على الامتثال، وإقامة الدعوة على أتم وجه(٧٨).

المبحث الثاني
آيات شرح الصدر

يبلغ مجموع (آيات شرح الصدر) بمختلف اشتقاقاتها خمس آيات، وقد جاءت تحمل عدة معان بحسب السياق الذي ترد فيه كما هو ملاحظ من المطالب الآتية:

المطلب الأول- شرح الصدر بالإسلام:

وينتظم هذا المطلب بآيتين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٧٩).

كنا قد عرضنا هذه الآية في المبحث السابق عند حديثنا عن (الضيق)، ولا يمكننا أن نحيط بمضامين ومعاني وأسرار هذه الآية المباركة، وهذا ما أشار إليه ابن القيم (ت٧١٥هـ) (رحمه الله) حين قال: وإذا تأمل من شرح الله صدره للإسلام والإيمان هذه الآية وما تضمنته من أسرار التوحيد والعدل وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة وعلم أنه عبد من كل وجه وبكل اعتبار, وأن الرب تعالى رب كل شيء ومليكه من الأعيان والصفات والأفعال, والأمر كله بيده والحمد كله له وأزمة الأمور بيده ومرجعها كلها إليه, فلهذه الآية شأن فوق عقولنا وأجل من إفهامنا, وأعظم مما قال فيها المتكلمون الذين ظلموها معناها وأنفسهم كانوا يظلمون تالله لقد غلظ عنها حجابهم وكثفت عنها إفهامهم ومنعتهم من الوصول إلى المراد بها أصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي أسسوها فإنها تضمنت إثبات التوحيد والعدل الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فأهل الإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والحرج، فأهل الإيمان في النور وانشراح الصدر, وأهل الضلال في الظلمة وضيق الصدر(٨٠).

والمهدي من خصه الله بهدايته وشرح صدره لدينه وشريعته والضال من جعل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبته كأنما يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وان ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وجحد كمال ربوبيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته فسد عليه باب توفيقه وهدايته، وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضاق

صدره وقسا قلبه وتعطلت من عبودية ربها جوارحه وامتلأت بالظلمة جوانحه والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ورضي بموالاة الشيطان وهانت عليه معاداة الرحمن فلا يحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه ولا يعزم يوما على إقلاعه عن هواه قد ضاد الله في أمره بحب ما يبغضه وببغض ما يحبه ويوالي من يعاديه ويعادي من يواليه يغضب إذا رضى الرب يرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب في إحسانه ويسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه عما يصفه به الجاهلون والظالمون, واذا شرح الله صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه أراه في ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التي تضل فيها معرفة العبد إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الأمر وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان وحقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور(٨١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٨٢).

قال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): الشيطان في الصدر يوسوس، ومكان الوسوسة: الصدر، فمنه تنبعث الخواطر والهموم والإرادات والنيات، فذكر الله الصدر لأنه معترك العبد، بين نيته وبين وسوسة الشيطان, وهو من باب إطلاق المحل، وإرادة الحال على ما هو جار في الأساليب العربية(٨٣).

وأراد سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن تكون المعركة في الصدر؛ ليعلم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من ينشرح صدره للهداية، ومن يضيق صدره فهو ضيق حرج بالغواية. فنعمة الإسلام انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وسكينة النفس، ونور البصيرة، ومعرفة الحق، واكتشاف التباس الباطل، إنه كل ما يريده الإنسان من راحة باله، وسعادة نفسه، ولذة روحه، إنه الذي يبحث عنه كل إنسان حي في هذه الحياة الدنيا ليجد ما تسكن به نفسه ويطمئن به قلبه.

ثم انظر إلى المقابلة التي جاءت في سياق عطف مباشر في قوله عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٨٤), فمن لم يأخذوا هذا الإسلام فهم قساة قلوب غلاظ أكباد، لا يعرفون حقيقة حقوق الإنسان، ولا يقيمون العدل ولا يلتفتون إليه، ثم يخبرنا الحق سبحانه وتعالى بأن هذا المصير وهذا المسلك هو الضلال المبين الواضح، فكم نحن في

نعمة من الله سبحانه وتعالى، بل قد جاء المثل القرآني بأبلغ تصوير وأجل وأدق تشبيه في قوله عز وجل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٨٥] ذلك هو مثل ما من الله به علينا، ومثل العظمة والمنة التي ساقها الله إلينا، يوم شرح صدورنا بالإسلام، فأصبحنا أحياء قلوب ونفوس، وغيرنا أحياء بالأجساد والأشباح، وقلوبهم مظلمة، ونفوسهم ميتة، ولذلك يسيرون متخبطين في ظلمات بعضها فوق بعض، لا يرون الحق والهدى، ولا تنكشف لهم أنوار البصر والبصيرة.

قال ابن عاشور: وشرحُ الصدر للإسلام استعارة لقبول العقل والقلب هديَ الإسلام ومحبّته. وحقيقة الشرح أنه: شق اللحم، ومنه سمي علم مشاهدة باطن الأسباب وتركيبه علم التشريح لتوقفه على شق الجلد واللحم والإطلاع على ما تحت ذلك. ولما كان الإنسان إذا تحير وتردد في أمر يجدّ في نفسه غماً يتأثر منه جهازه العصبي فيظهر تَأثره في انضغاط نَفَسه حتى يصير تنفسه عسيراً ويكثر تنهده وكان عضو التنفس في الصدر، شبه ذلك الانضغاط بالضيق والانطباق فقالوا: ضاق صدره، قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾[٨٦]، وقالوا: انطبق صدره وانطبقت أضلاعه وقالوا في ضد ذلك: شرح الله صدره، وجمع بينهما قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٨٧]، ومنه قولهم: فلان في انشراح، أي يحس كأن صدره شُرح ووُسع. ومن رشاقة ألفاظ القرآن إيثار كلمة **(شَرح)** للدلالة على قبول الإسلام لأن تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله ومسرة برضى ربه واستخفافاً للمصائب والكوارث لجزمه بأنه على حق في أمره وأنه مثاب على ضره وأنه راج رحمة ربه في الدنيا والآخرة ولعدم مخالطة الشك والحيرة ضميره[٨٨].

قال سيد طنطاوي (رحمه الله): ثم نفى- سبحانه- المساواة بين المؤمن والكافر، وبين المهتدى والضال، أي: أفمن شرح الله- تعالى- صدره للإسلام، وجعله مستعدا لقبول الحق فهو بمقتضى هذا الشرح والقبول صار على نور وهداية من ربه, كمن قسا قلبه وغلظ، وأصبح أسيرا للظلمات والأوهام[٨٩].

المطلب الثاني- شرح صدر خاتم الأنبياء والرسل:

عدد الله تعالى مننه ونعمه على خاتم أنبيائه ورسله، ومنها شرح صدره ﷺ، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٩٠].

فقد كان رسول الله ﷺ أسعد الناس، لا شك في هذا؛ لأن من أسباب السعادة: شرح الصدر؛ فكان من أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلباً، وأقرهم عيناً، وأكملهم حياةً. وسميت على هذا الأمر سورة كاملة هي سورة (الشرح).

قال الفيروزابادي (ت٨١٧هـ): السورة مكية. وآياتها ثمان. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها مائة وخمسون, وسميت لمفتتحها. معظم مقصود السورة: بيان شرح صدر المصطفى ﷺ ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطاعة في انتظار أجره، والرغبة إلى الله- تعالى- والإقبال على ذكره[٩١].

وهذه ثلاث منن أخرى بعد المنن الثلاث التي جاءت في السورة قبلها (الضحى) منّها الله تعالى على رسوله ﷺ.

وأورد الرازي في معنى (شرح الصدر)[٩٢] لرسول الله ﷺ قولين: **الأول:** ما روي أن جبريل عليه السلام أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي, ثم ملأه علماً, وإيماناً، ووضعه في صدره. والقول **الثاني:** إن المراد من شرح الصدر ما يرجع إلى المعرفة والطاعة، وبالجملة فشرح الصدر عبارة عن علمه بحقارة الدنيا وكمال الآخرة، ونظيره قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٩٣]، وتحقيق القول: أن صدق الإيمان بالله ووعده, ووعيده يوجب للإنسان الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة, والاستعداد للموت وثانيها: أنه انفتح صدره حتى أنه كان يتسع لجميع المهمات لا يقلق ولا يضجر ولا يتغير، بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر مشتغل بأداء ما كلف به، والشرح التوسعة، ومعناه الإراحة من الهموم، والعرب تسمي الغم والهم ضيق صدر[٩٤].

ثم بعد ذلك ذكر الرازي في معاني (شرح الصدر) هنا عدة سؤالات أوردها هنا لما فيها من عمق ودقة في الاستنباط:

الأول: لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب؟ والجواب: لأن محل الوسوسة هو الصدر على ما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[٩٥] فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب، وقال محمد بن علي الترمذي: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، فالشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلكاً أغار فيه ونزل جنده فيه، وبث فيه من الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حيئنذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء منع وحصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء العبودية. السؤال الثاني: لمَ قال: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾، ولمَ يقل ألم نشرح صدرك؟ والجواب: من وجهين أحدهما: كأنه تعالى يقول لام بلام، فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال: ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[٩٦]، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾[٩٧], فأنا أيضاً جميع ما أفعله لأجلك وثانيها: أن فيها تنبيهاً على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه السلام، كأنه تعالى قال: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي. السؤال الثالث: لم قال: **(أَلَمۡ نَشۡرَحۡ)** ولم يقل ألم أشرح؟ والجواب: إن حملناه على نون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدل ذلك على أن ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنه جلالتها، وإن حملناه على نون الجميع، فالمعنى كأنه تعالى يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوي قلبك، فأديت الرسالة وأنت قوي القلب منشرح الصدر[٩٨].

وعند تتبع أقوال المفسرين نجد أكثرهم يفسر (شرح الصدر) على انه: «الفسحة والبسط والتوسعة, وهو قريب من المعنى اللغوي للفظ الشرح. لكن المفسرين زادوه تفصيلا ببيان ما كان من هذا الشرح»[٩٩].

قال الطبري: انه الشرح للهدى والإيمان ومعرفة الحق, وجعل القلب وعاء للحكمة[١٠٠].

وقال الزمخشري: «فسحناه حتى وسع عموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعاً. أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم: أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل»[١٠١].

وكما ذكر الرازي في القول الأول لمعنى الشرح وهو المعنى المادي، نجد أن من المفسرين من أضاف هذا المعنى كالنيسابوري وذكر حادثة شق الصدر(١٠٢) وكذا جاء مثل هذا عن أبي حيان نقلا عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وجماعة: «أشارة إلى شق جبريل عليه السلام صدره في وقت صغره»(١٠٣).

وقالت بنت الشاطئ وهي تنقد هذا التأويل وترجح المعنى المعنوي للشرح: إن تتبع آيات شرح الصدر يزيدنا بعدا عن المعنى المادي للشرح, ويجعلنا أكثر طمأنينة إلى انه هدي الإيمان، ونور الحق, وراحة اليقين والسلام النفسي, وشرح الصدر بالكفر بآية النحل شاهد بأن الأمر فيه معنوي خالص(١٠٤).

المطلب الثالث- كليم الله يطلب شرح صدره:

حكي الله تعالى عن موسى عليه السلام قوله في الموضع الذي ذكرناه سابقا: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾(١٠٥)، فسأل الله تعالى هنا إبدال ذلك الضيق بالشرح لتأدية مهام الرسالة لأنه يجابه أطغى شخصية عرفتها البشرية في جميع عصورها. فقال سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾(١٠٦).

قال الزمخشري: لما أمره الله بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط، وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون, ومقاساة جلائل الخطوب(١٠٧).

وقال الآلوسي وهو يحاول استجلاء المعاني الإشارية لطلب موسى عليه السلام: أنه عليه السلام قد طلب شرح الصدر ليقف على دقائق المعرفة وإسرار الوحي ويقوم بمراسم الخدمة والعبادة على أتم وجه, ولا يضجر من شدائد التبليغ, وقيل أنه عليه السلام لما نصب لذلك المنصب العظيم وخوطب بما خوطب في ذلك المقام احتاج إلى تكاليف شاقة من تلقى الوحي والمواظبة على خدمة الخالق سبحانه وتعالى وإصلاح العالم السفلي فكأنه كلف بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالأخر, فسأل شرح الصدر حتى يفيض عليه من القوة ما

يكون وافيا بضبط تدبير العالمين، وقد يقال أن الأمر بالذهاب إلى فرعون قد انطوى فيه الإشارة إلى منصب الرسالة المستتبع تكاليف لائقة به منها ما هو راجع إلى الحق, ومنها ما هو منوط بالخلق, وقد استشعر موسى عليه السلام كل ذلك فبسط كف الضراعة لطلب ما يعينه على أداء ذلك على أكمل وجه، كما لا يخفى أن الصدر عند علماء الرسوم يراد منه القلب لأنه المدرك أو مما به الإدراك(١٠٨).

وهنالك أن تقارن وتتأمل بين هذه الآية والتي قبلها لتعرف فضل رسول الله محمد ﷺ على سائر الأنبياء والرسل.

المطلب الرابع- شرح الصدر بالكفر:

قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(١٠٩).

قال الرازي: واعلم أن لفظ الشرح غير مختص بالجانب الحق، لأنه وارد في الإسلام في قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾(١١٠), وفي الكفر في قوله: (وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا)(١١١).

وقال السيوطي (ت٩١١هـ) في سبب نزول هذه الآية: (وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ) قال ذلك عمار بن ياسر وفي قوله: (وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا) قال ذاك عبد الله بن أبي سرح(١١٢). ونقل القرطبي قول الكلبي إنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد إيمانهم(١١٣).

ونقل ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) اختلاف العلماء في معنى الشرح هنا: قال قتادة من أتاه بإيثار واختيار, وقال ابن قتيبة من فتح له صدره بالقبول وقال أبو عبيدة المعنى من تابعته نفسه وانبسط إلى ذلك(١١٤).

المبحث الرابع
الألفاظ المقاربة أو ذات الصلة

هناك عدة ألفاظ مقاربة لمعنى (الضيق) اقتصرت منها على ما له علاقة بالصدر والقلب ومشاعر الإنسان, وهي: (الحرج) و(الحصر) و(الضنك)، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم, وهناك ألفاظ أخرى تعطي معنى (الضيق) إلا انه ليس ضيق القلب أو الصدر مثل: العسر، قتر, قدر، رأيت هنا أن استثنيها من البحث.

المطلب الأول- الحرج:

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، وهنا سأعرض لمفهومه في اللغة والاصطلاح، وأشير إلى معانيه التي وردت في آيات التنزيل الحكيم.

أولا- مفهوم الحرج:

الحرج لغة: قال ابن منظور: **(حرج)** الحِرْجُ والحَرَجُ الإِثمُ، والحارجُ الآثم, رجل مُتَحَرِّجٌ كقولهم رجلٌ مُتَأَثِّمٌ وأَحْرَجَه أَي آثمه، وتَحَرَّجَ تأَثَّم والتحريج التضييق، وقال ابن الأَثير: الحَرَجُ في الأَصل الضيق ويقع على الإِثم والحرام وقيل الحَرَجُ أَضْيَقُ الضِّيقِ، ورجلٌ حَرَجٌ وحَرِجٌ ضَيِّق الصَّدْرِ، يَحْرَجُ حَرَجاً ضاق فلم ينشرح لخير. والحَرَجُ فيما فسر ابن عباس (رضي الله عنهما) هو الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إِليه الراعيةُ قال وكذلك صدر الكافر لا يصل إِليه الحكمةُ، وقال الزجاج: الحَرَجُ في اللغة أَضْيَقُ الضِّيقِ ومعناه أَنه ضَيِّقٌ جدًّا[١١٥].

وعند التدقيق في المصطلحين نجد أن بينهما فروقا دقيقة كما أوردها أبو هلال العسكري حيث قال: **الفرق بين الحرج والضيق:** أن الحرج ضيق لا منفذ فيه مأخوذ من الحرجة وهي الشجر الملتف حتى لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه، ولهذا جاء بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١١٦], أي شكا لان الشاك في الأمر لا ينفذ فيه, ومثله: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١١٧], وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[١١٨], أنه أراد ضيقا لا مخرج منه وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة, فالتوبة مخرج وترك ما يصعب فعله على الإنسان بالرخص ويحتج به فيما أختلف فيه من الحوادث فقيل إن ما أدى إلى الضيق فهو منفي وما أوجب التوسعة فهو أولى[١١٩].

الحرج اصطلاحا: هو أضيق الضيق، ومالا مدخل له، والضيق ماله مدخل كما أن الحرج ليس مطلق الضيق، بل هو ضيق خاص نعني به الضيق الشديد[١٢٠].

ثانياً- معاني الحرج في القرآن الكريم:

وقد استعمل **(الحرج)** في الكتاب العزيز في معانٍ ثلاثة(١٢١):

الأول: بمعنى (الضيق):

١-قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(١٢٢).

٢-وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(١٢٣).

٣-وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾(١٢٤).

فان ظاهر سياق هذه الآيات يشهد بأن المراد من الحرج فيها هو ضيق الصدر.

الثاني: بمعنى (إثم)(١٢٥):

١-كقوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(١٢٦).

٢-وقوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ ﴾(١٢٧).

٣-وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾(١٢٨).

٤-وقوله سبحانه: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾(١٢٩).

الثالث: بمعنى (الكلفة)(١٣٠):

كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾(١٣١), وقوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ

ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[١٣٢].

المطلب الثاني- حصر:

أولا- مفهوم الحصر:

١-الحصر لغة: «الحَصْرُ كالضَّرْبِ والنَّصْرِ: التَّضْييقُ والحَبْسُ عن السَّفرِ, وغيرِهِ كالا حْصارِ وأُحْصِرَ وبالتحريكِ: ضِيقُ الصَّدْرِ والبُخْلُ والعِيُّ في المَنْطِقِ، وأن يَمْتَنِعَ عن القِرَاءَةِ فلا يَقْدِرَ عليه الفِعْلُ كفَرِحَ. والحَصِيرُ: الضَّيّقُ الصَّدْرِ كالحَصُورِ»[١٣٣].

وهناك فرق بين (الإحصار والحصر) عند اللغويين: قالوا الإحصار في اللغة منع بغير حبس، والحصر المنع بالحبس قال الكسائي: ما كان من المرض قيل فيه احصر، وقال أبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة قيل فيه احصر وما كان من سجن أو حبس قيل فيه حصر فهو محصور، وقال المبرد: هذا صحيح وإذا حبس الرجل الرجل قيل حبسه وإذا فعل به فعلا عرضه به لان يحبس قيل أحبسه وإذا عرضه للقتل قيل أقتله وسقاه إذا أعطاه إناء يشرب منه وأسقاه إذا جعل له سقيا[١٣٤].

٢-الحصر اصطلاحاً: لهذه المفردة عدة تعار يف متنوعة تبعا لاشتقاقاتها أخذت منها وما يتناسب مع موضوع بحثنا, وما له علاقة بمفهوم الضيق، فالحصر والإحصار: المنع، يقال في المنع الظاهر كالعدو، والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن, فهو الحبس والمنع من الحركة[١٣٥].

ثانياً- من معاني (حصر) في القرآن الكريم:

جاء هذا اللفظ في عدة آيات من كتاب الله تعالى، ومن معانيه[١٣٦]:

١-حصر بمعنى الحبس, كقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ ﴾[١٣٧], وقوله تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١٣٨].

٢-حصر بمعنى الضيق والانقباض كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ ﴾[١٣٩].

٣-حصر بمعنى التقييد كقوله تعالى: ﴿ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١٤٠].

المطلب الثالث- الضنك:

أولاً- مفهوم الضنك:

١-الضنك لغة: الضِّيقُ من كل شيء الذكر والأُنثى فيه سواء, ومعيشة ضَنْكٌ ضَيِّقة, وكل عيش من غيرِ حلٍّ ضَنْك وإن كان واسعاً[١٤١].

٢-اصطلاحا: الضنك: النكد الشاق من العيش أو المنازل أو مواطن الحرب ونحو هذا[١٤٢].

ثانياً- معاني (ضنك) في القرآن الكريم:

وردت مفردة (ضنك) في كتاب الله تعالى في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[١٤٣]، وقد تعددت آراء المفسرين وأهل اللغة في معنى (ضنكا) الواردة في الآية إلا أنها تدور حول معنى الضيق والشدة[١٤٤].

المبحث الخامس
أسباب ضيق الصدر وانشراحه

وبعد هذه الجولة المباركة لا بد أن نبين أسباب ضيق الصدر وانشراحه، إذ إنه مرض قلبي، وسوف أورد هذه الأسباب على شكل نقاط موجزة لما فيها من الفوائد الجمة:

فأعظم أسباب شرح الصدر:

١-التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[١٤٦].

فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر, والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

٢-ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج وصار في أضيق سجن وأصعبه فيصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور وكذلك النور الحسي والظلمة الحسية هذه تشرح الصدر وهذه تضيقه.

٣-العلم فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل عالم بل للعلم الموروث عن الرسول ﷺ وهو العلم النافع فأهله أشرح الناس صدرا وأوسعهم قلوبا وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم عيشا.

٤- الإنابة إلى الله سبحانه ومحبته بكل القلب, والإقبال عليه والتنعم بعبادته فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك حتى إنه ليقول أحيانا: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحالة فإني إذا في عيش طيب, وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر, وطيب النفس, ونعيم القلب لا يعرفه إلا من له حس به, وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

٥-ومن أعظم أسباب ضيق الصدر: الإعراض عن الله تعالى وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره ومحبة سواه, فإن من أحب شيئا غير الله عذب به وسجن قلبه في محبة ذلك الغير, فما في الأرض أشقى منه ولا أكسف بالا ولا أنكد عيشا ولا أتعب قلبا فهما محبتان: محبة هي جنة الدنيا وسرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب وانجذاب قوى الميل والإرادة والمحبة كلها إليه، ومحبة هي عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب, وضيق الصدر وهي سبب الألم والنكد والعناء وهي محبة ما سواه سبحانه.

٦-ومن أعظم أسباب شرح الصدر دوام ذكر الله سبحانه على كل حال وفي كل موطن فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب, وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه(١٤٧).

فالله تعالى يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(١٤٨).

قال ابن الجوزي: في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه القرآن، والثاني: ذكر الله على الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما أنها الحب له والأنس به، والثاني: السكون إليه من غير شك بخلاف الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم(١٤٩).

ذِكرُ الله عز وجل يشرح صدرك، أما ترى نفسك إذا كنت ضائقاً مهتماً، وعندك مشاكل، فإذا قلت: لا إله إلا الله أستغفر الله العظيم وأتوب إليه، لا حول ولا قوة إلا بالله، تشعر بأنه يوجد مثل الماء البارد ينصب على جوفك، تشعر براحة وطمأنينة فهذا الشرح يأتي من مرة، فكيف لو أنك تداوم على ذكر الله؟ وكيف لو أنك ملازم لذكر الله؟ ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(١٥٠), فما دام أنك مع الله فكيف يضيق صدرك؟ هل يضيق صدرك وأنت مع من يشرح الصدور؟ هل تضيق أمورك وأنت مع من بيده مقاليد الأمور؟ أبداً والله! ولكن ما الذي يسبب لك ضيق الصدر؟ إنه الغفلة وعدم الذكر، والغناء، وقراءة الصحف والمجلات الرخيصة العارية والقصص والروايات التافهة التي يضيق من جرائها الصدر(١٥١).

٧- ومنها: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا وأطيبهم نفسا وأنعمهم قلبا والبخيل الذي

ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرا وأنكدهم عيشا وأعظمهم هما وغما؛ وقد ضرب رسول الله ﷺ في الصحيحين مثلا للبخيل والمتصدق بقوله: «**مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع**»(١٥٢)، قال المحقق مصطفى ديب البغا بهامش الحديث معلقا: «والمعنى أن الجواد الكريم إذا هم بالنفقة انشرح لذلك صدره وطاوعته يداه فامتدتا بالعطاء وأما البخيل فإذا حدث نفسه بالصدقة ضاق صدره وانقبضت يده»(١٥٣).

وقال ابن القيم(١٥٤) أيضا وهو يتحدث عن الصدقة وآثارها: والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه وعظم سروره ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾(١٥٥).

٨- ومنها الشجاعة فإن الشجاع منشرح الصدر, واسع البطن متسع القلب، والجبان: أضيق الناس صدراً, وأحصرهم قلبا لا فرحة له ولا سرور ولا لذة له ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل وعلى كل معرض عن الله سبحانه غافل عن ذكره جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته, ودينه متعلق القلب بغيره، وإن هذا النعيم والسرور يصير في القبر رياضا وجنة، وذلك الضيق والحصر ينقلب في القبر عذابا وسجنا, فحال العبد في القبر كحال القلب في الصدر نعيما وعذابا وسجنا وانطلاقا، ولا عبرة بانشراح صدر هذا لعارض ولا بضيق صدر هذا لعارض فإن العوارض تزول بزوال أسبابها، وإنما المعول على الصفة التي قامت بالقلب توجب انشراحه وحبسه فهي الميزان والله المستعان.

٩- ومنها بل من أعظمها: **إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة** التي توجب ضيقه وعذابه وتحول بينه وبين حصول البرء فإن الإنسان إذا أتى الأسباب التي تشرح صدره ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل وغايته أن يكون له مادتان تعتوران على قلبه وهو للمادة الغالبة عليه منهما.

١٠- ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره, وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها؛ فما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه وما أسوأ حاله وما أشد حصر قلبه وما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم وكانت همته دائرة عليها حائمة حولها وبينهما مراتب متفاوتة لا يحصيها إلا الله تعالى(١٥٦).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في عالم القرآن الكريم، وتفسيراته العظيمة ومدارسة أقوال العلماء العارفين بكتاب الله العزيز، يمكن أن نبدأ في تحرير النتائج النهائية المأخوذة من مباحثها ونجملها فيما يأتي:

- إنّ دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بالحالة النفسية يمكن أن تفتح الباب إلى دراسات جديدة في علم النفس القرآني.
- عناية القرآن الكريم بضيق الصدر وانشراحه وما له صلة بهما ويظهر ذلك من خلال الآيات القرآنية الكثيرة.
- لقد أسبغ الله علينا نعمه ظاهرة وباطنه، ومن تلك النعم انشراح الصدر بالإسلام.
- وقد اقترنت لفظة الضيق والشرح في آية واحدة ووراء ذلك مطالب إعجازية علمية وأهداف عقدية مقصودة.
- وأخيرا فهناك أسباب تجعل الصدر منشرحا وأسباب تجعله ضيقا.

وبعد: فاني في خاتمة هذا البحث، آمل أن أكون قد وفقت إلى تقديم صورة واضحة عن ضيق الصدر وانشراحه راجيا من الله تعالى أن يجعله موضع الرضا والقبول، فأن أصبت فذاك ما كنتُ أبغي، وهو من فضل الله تعالى، وما كان فيه من هفوات فهو من نفسي، وحسبي إني توخيت الصواب. وأسال الله تعالى إن يهديني إلى سواء السبيل، انه نعم المولى ونعم المجيب. وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م: ٣/ ٣٠٠.

(٢) سورة هود: من الآية ١٢.

(٣) سورة النحل: من الآية ١٢٧.

(٤) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر, ط١، بيروت: ١٠/ ٢٠٨- ٢٠٩.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم, دمشق: ٢/ ١٨.

(٦) ينظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد قلعجي, دار النفائس للطباعة والنشر, بيروت, ط٢, لبنان, ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ص٢٦.

(٧) مفردات ألفاظ القران: ١/ ٥٣١, وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي, طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- مصر، ١٩٦٤م: ١/ ٩٣٩.

(٨) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: ١/ ١٦٤٥.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٦٤٦.

(١٠) غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د.عبد الله الجبوري, مطبعة العاني, ط١، بغداد، ١٣٩٧هـ: ٢/ ٢٧٣, والفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ), تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢، لبنان: ١/ ٢٣٢.

(١١) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة، الحسني (ت١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية للنشر, بيروت- لبنان, ٢٠٠٥م: ٢/ ٢٠١.

(١٢) ينظر: التوقف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرءوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان, دار الفكر المعاصر, ط١، بيروت- دمشق، ١٤١٠هـ: ص٤٢٧.

(١٣) سورة الحج: من الآية ٤٦.

(١٤) سورة آل عمران: من الآية ١٦٧.

(١٥) سورة القصص: من الآية ٢٣.

(١٦) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٤٤٥, (مادة صدر).

(١٧) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار, تحقيق: مجمع اللغة العربية: ١/ ١٠٥٦.

(١٨) جَوارِحُ الإنسان أَعضاؤُه وعَوامِلُ جسده كيديه ورجليه واحدتها جارحة لأَنهن يَجْرَحْن الخير والشر أَي يكسبنه. ينظر: لسان العرب: ٤/ ٦٤.

(١٩) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ٩٨٨، والمعجم الوسيط: ١/ ١٠٥٦.

(٢٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة, مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ: ص٤٢٤.

(٢١) الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت): ١/ ٢٢٩.

(٢٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٢/ ١٨.

(٢٣) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م: ١٠/ ٢٢٣.

(٢٤) سورة الأنعام: آية ١٢٥.

(٢٥) سورة الأنعام: من الآية ١٢٢.

(٢٦) سورة الأنعام: من الآية ١٢٤.

(٢٧) سورة يونس: الآية ٩٦- ٩٧.

(٢٨) سورة الأنعام: الآية ١١١.

(٢٩) التحرير والتنوير: ٥/ ١١٧.

(٣٠) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٣١) سورة النحل: من الآية ١٠٦.

(٣٢) ينظر: التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، دار الفكر, ط١, بيروت, ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م: ٦/ ٤٧١.

(٣٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/ ١١٧.

(٣٤) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٢٣٣ (مادة حرج).

(٣٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر للطباعة والنشر, ط١, ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ١٢/ ١٠٢-١٠٤.

(٣٦) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعماني, دار الفكر، بيروت- لبنان, ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م: ١/ ١٠٦.

(٣٧) ينظر: الحجة للقراء السبع، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ), تحقيق: بدر الدين قهوجي, بشير جويحابي, دار المأمون للتراث، ط١، دمشق- بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: ٣/ ٣٩٩- ٤٠١.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٢, ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ٣/ ٣٣٦.

(٣٩) سورة فاطر: من الآية ١٠.

(٤٠) حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة, ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: ١/ ٢٧١.

(٤١) التفسير الكبير: ٦/ ٤٧٢.

(٤٢) ينظر: معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط١، مكة المكرمة, ١٤٠٩هـ: ٢/ ٤٨٧.

(٤٣) ينظر: روح المعا ني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: ٨/ ٢٢.

(٤٤) ينظر: قضايا وأراء، السنة ٢٠٠١ أكتوبر ٨، العدد ١٢٦، ٢١ من رجب ١٤٢٢هـ، من أسرار القرآن، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، ٢١، بقلم د.زغلول النجار.

(٤٥) سورة التوبة: آية ٢٥.

(٤٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط١, دمشق- بيروت, ١٤١٥هـ: ١/ ٤٥٩.

(٤٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت– لبنان: ٢/ ٣٤٨.

(٤٨) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٤٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي, تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي, مؤسسة الرسالة, ط١، بيروت– لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: ٨/ ٢٨٧.

(٥٠) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١١/ ٤١– ٤٢.

(٥١) سورة هود: آية ٧٧.

(٥٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي, تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر, بيروت, ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ٢/ ١.

(٥٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢/ ٤٩٤.

(٥٤) سورة العنكبوت: آية ٣٣.

(٥٥) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان: ٣/ ٤٥٧.

(٥٦) سورة النحل: آية ١٢٧.

(٥٧) سورة النحل: الآيات ١٢٦– ١٢٨.

(٥٨) ينظر: أسباب النزول، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٧هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان, دار الإصلاح, ط٢, الدمام، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ١/ ١٠٢، ومعالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ), تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش, دار طيبة للنشر, ط٤, ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: ٣/ ٩١.

(٥٩) سورة الحجر: آية ٩٧.

(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ ١٦٨.

(٦١) سورة النمل: آية ٧٠.

(٦٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ١/ ٩٠٦.

(٦٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت, ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ٦/ ١٤٥.

(٦٤) سورة الفرقان: آية ١٣.

(٦٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٦/ ٢٠٦.

(٦٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م: ٤/ ٢٠٢.

(٦٧) سورة الطلاق: آية ٦.

(٦٨) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٥/ ٢٤٥.

(٦٩) معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجا، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة: ٥/ ١١٦.

(٧٠) عند التدقيق في هذا الكلام وجدت أن الأخفش قد فسر (الوُجْد) بمعنى: المقدِرة, أي مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُم مِمَّا تَقْدِرُون عليه وليس كما قال الماوردي. ينظر: معاني القرآن، لسعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة: ٤/ ٣٢.

(٧١) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: ٤/ ٢٨٨.

(٧٢) سورة الحجر: آية ٩٧.

(٧٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٧٦.

(٧٤) سورة الحجر: الآيات ٩٨– ٩٩.

(٧٥) ينظر: التفسير الكبير: ١٩/ ١٧١.

(٧٦) سورة الشعراء: الآيات ١٢- ١٤.

(٧٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي الخير عبدا لله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت- لبنان: ٤/ ٢٣٣.

(٧٨) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩/ ٦٥.

(٧٩) سورة الأنعام: آية ١٢٥.

(٨٠) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ١/ ١٠٧.

(٨١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٠٨.

(٨٢) سورة الزمر: آية ٢٢.

(٨٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٩/ ٣٥٠.

(٨٤) سورة الزمر: من الآية ٢٢.

(٨٥) سورة الإنعام: آية ١٢٢.

(٨٦) سورة الشعراء: آية ١٣.

(٨٧) سورة الأنعام: آية ١٢٥.

(٨٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ٣٢٠.

(٨٩) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر: ١/ ٣٦٤٩.

(٩٠) سورة الشرح: آية ١.

(٩١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ٣٥٥.

(٩٢) للمزيد عن حادثة شق الصدر ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٤٢٩.

(٩٣) سورة الأنعام: من الآية ١٢٥.

(٩٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٧/ ٨٧.

(٩٥) سورة الناس: آية ٥.

(٩٦) سورة الذاريات: من الآية ٥٦.

(٩٧) سورة طه: من الآية ١٤.

(٩٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٧/ ٨٨.

(٩٩) التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ, دار المعارف، ط٧, القاهرة- مصر، ١٩٩٠م: ١/ ٥٨.

(١٠٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٢/ ٤٩٢.

(١٠١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٦/ ٣٩٦.

(١٠٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران, دار الكتب العلمية, ط١, بيروت- لبنان, ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: ٦/ ٢٦٦.

(١٠٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ), تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود, الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية, ط١، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م: ٨/ ٤٨٣.

(١٠٤) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٦٠.

(١٠٥) سورة الشعراء: آية ١٣.

(١٠٦) سورة طه: آية ٢٥.

(١٠٧) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ١٣٨.

(١٠٨) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٦/ ١٨٢.

(١٠٩) سورة النحل: آية ١٠٦.

(١١٠) سورة الزمر: آية ٢٢.

(١١١) ينظر: التفسير الكبير: ٦/ ٤٧١.

(١١٢) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م: ٥/ ١٧٠, ولباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان: ص١٢١.

(١١٣) ينظر: الجامع لإحكام القرآن: ١٠/ ١٨٠.

(١١٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر المكتب الإسلامي, ط٣، بيروت- لبنان, ١٤٠٤هـ: ٤/ ٤٩٦.

(١١٥) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٢٣٣, (مادة حرج).

(١١٦) سورة النساء: من الآية ٦٥.

(١١٧) سورة الأعراف: آية ٢.

(١١٨) سورة الحج: من الآية ٧٨.

(١١٩) ينظر: الفروق في اللغة: ١/ ١٢٦.

(١٢٠) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ١٤٦– ١٤٧، والتوقف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي. تحقيق: د.محمد رضوان, دار الفكر المعاصر, ط١، بيروت– دمشق، ١٤١٠هـ: ١/ ٢٧٣، ومعجم لغة الفقهاء: ١/ ١٧٨.

(١٢١) ينظر: بصائر ذوي التمييز قي لطائف الكتاب العزيز: ١/ ٦٥٥.

(١٢٢) سورة الأنعام: آية ١٢٥.

(١٢٣) سورة الأعراف: آية ٢.

(١٢٤) سورة النساء: آية ٦٥.

(١٢٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/ ٦٢٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧/ ٣٢٩.

(١٢٦) سورة التوبة: آية ٩١.

(١٢٧) سورة النور: من الآية ٦١.

(١٢٨) سورة الأحزاب: آية ٣٨.

(١٢٩) سورة الفتح: آية ١٧.

(١٣٠) قال الشنقيطي عن معنى (الحرج) هنا: «وقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن هذه الحنيفية السمحة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، أنها مبنية على التخفيف والتيسير، لا على الضيق والحرج. وقد رفع الله فيها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا». أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥/ ٣٠٦.

(١٣١) سورة الحج: من الآية ٧٨.

(١٣٢) سورة المائدة: من الآية ٦.

(١٣٣) القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١/ ٤٨٠ (مادة حصر).

(١٣٤) ينظر: الفروق في اللغة: ١/ ١٢٦.

(١٣٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ١٢٠، والتوقف على مهمات التعاريف: ص٤١.

(١٣٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ١٢٠.

(١٣٧) سورة البقرة: من الآية ١٩٦.

(١٣٨) سورة البقرة: من الآية ٢٧٣.

(١٣٩) سورة النساء: من الآية ٩٠.

(١٤٠) سورة التوبة: من الآية ٥.

(١٤١) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٤٦٢.

(١٤٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٦٨.

(١٤٣) سورة طه: آية ١٢٤.

(١٤٤) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٤٦٢, وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣/ ٣٩١.

(١٤٥) سورة الزمر: آية ٢٢.

(١٤٦) سورة الأنعام: آية ١٢٥.

(١٤٧) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), تحقيق: شعيب الارنأؤوط، عبد القادر الارنأؤوط، مكتبة المنار الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م: ٢/ ٢٢- ٢٧.

(١٤٨) سورة الرعد: آية ٢٨.

(١٤٩) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٣٢٧.

(١٥٠) سورة البقرة: من الآية ٢٥٢.

(١٥١) ينظر: موسوعة الخطب والدروس، دروس للشيخ سعيد بن مسفر، جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف: ١٦/ ١٧.

(١٥٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة, ط٣, بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: ٢/ ٥٢٣، باب مثل المتصدق والبخيل، وصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢/ ٧٠٨, كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل.

(١٥٣) هامش تحقيق صحيح البخاري: ٢/ ٥٢٣.

(١٥٤) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي, ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: ص٤٩.

(١٥٥) سورة الحشر: من الآية ٩.

(١٥٦) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢/ ٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أسباب النزول، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٧هـ), تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان, دار الإصلاح، ط٢, الدمام, ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي, تحقيق: مكتب البحوث والدراسات, دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي الخير عبدا لله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر, بيروت– لبنان.

٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجينة الحسني (ت١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية, بيروت– لبنان, ٢٠٠٥م.

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ), طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة– مصر، ١٩٦٤م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية.

٨. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ), تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود, الشيخ علي محمد معوض, دار الكتب العلمية, ط١، بيروت, ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩. تفسير البغوي، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

١٠. التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ, دار المعارف, ط٧, القاهرة– مصر, ١٩٩٠م.
١١. تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٢. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٢, ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٣. التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٤هـ), دار الفكر, ط١، بيروت, ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر.
١٥. التوقف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان, دار الفكر المعاصر, ط١، بيروت– دمشق, ١٤١٠هـ.
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين, مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ), تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر للطباعة والنشر, ط١, ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ), تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي, مؤسسة الرسالة, ط١، بيروت– لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٩. الحجة للقراء السبع، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ), تحقيق: بدر الدين قهوجي, بشير جويحابي, دار المأمون للتراث، ط١، دمشق– بيروت, ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢٠. حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة, ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢١.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٩٣م.
٢٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
٢٣.زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الناشر المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت– لبنان، ١٤٠٤هـ.
٢٤.زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), تحقيق: شعيب الارنأؤوط، عبد القادر الارنأؤوط، مكتبة المنار الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م.
٢٥.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعماني، دار الفكر, بيروت– لبنان, ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢٦.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، اليمامة– بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٧.صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران, دار الكتب العلمية, ط١, بيروت– لبنان, ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٩.غريب الحديث لابن قتيبة، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ), تحقيق: د.عبد الله الجبوري, مطبعة العاني, ط١، بغداد، ١٣٩٧هـ.
٣٠.الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ), تحقيق: علي محمد البجاوي, و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة, ط٢، بيروت– لبنان.
٣١.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت– لبنان.

٣٢. الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري (ت٥١٨هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٣٣. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٤. قضايا وأراء، السنة ٢٠٠١م، أكتوبر ٨، العدد ١٢٦, ١٤٢٢هـ، ٢١ من رجب, من أسرار القرآن، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، ٢١، د.زغلول النجار.
٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦. لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت– لبنان.
٣٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر, ط١، بيروت– لبنان.
٣٨. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ), تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٤, ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٣٩. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني دار النشر: جامعة أم القرى، ط١, مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
٤٠. معاني القرآن، لسعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، بالقاهرة.
٤١. معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجا، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة.
٤٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان, ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار, تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٤٤. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ), تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٤٥. معجم لغة الفقهاء، لمحمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر, ط٢, بيروت– لبنان, ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٤٦. مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني, دار القلم, دمشق.
٤٧. موسوعة الخطب والدروس، دروس للشيخ سعيد بن مسفر، جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف, د.ط, ت.
٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ), تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان, ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٤٩. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
٥٠. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي, ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد الواحدي أبي الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية, ط١، دمشق– بيروت، ١٤١٥هـ.